

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١١/١٧ م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

ضمن سرد التاريخ أو سيرة النبي الكريم ﷺ، قد ذكرتُ في نهاية الخطبة الأخيرة إسلام فرات بن حيان. ومن التفاصيل الأخرى لإسلامه أنه أُسر وكان من بين السجناء كما قلتُ في الخطبة السابقة. كما أصيب يوم بدر، لكنه تمكن من الفرار من السجن بطريقة ما. والآن أسره المسلمون مرة أخرى. فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أئن تغير سلوكك؟ فقال فرات: إذا هربت من محمد هذه المرة فلن يتمكن من أسري. فقال أبو بكر رضي الله عنه: فأسلم إذا كنت تريد النجاة، فليس هناك طريق آخر للنجاة إلا قبول الإسلام. فحين سمع كلام أبي بكر رضي الله عنه انطلق إلى رسول الله ﷺ فمرَّ بحلقة من الأنصار فقال إني مسلم. فجاء صحابي من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وقال: إنه يقول إني مسلم، فقال رسول الله ﷺ: إن منكم رجالًا نكلهم إلى إيمانهم. أي إن قال إني أسلمت فهو أمر بينه وبين الله. الحاصل أن النبي ﷺ أطلقه. وفي هذا الصدد ورد ذكر سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه التي بعث فيها إلى موضع "القردة" في جمادى الثاني سنة ثلاث للهجرة. كتب مرزا بشير أحمد رضي الله عنه هذه الواقعة في سيرة خاتم النبيين ﷺ كالتالي:

حين وجد المسلمون نفساً من هجمات بني سليم وبني غطفان اضطروا إلى أن يخرجوا من أجل إزالة خطر آخر، كان أهل قريش يذهبون إلى الشام عن طريق الساحل عموماً لتجارهم الشمالية ولكن الآن تركوا هذا الطريق لأن أهل قبائل هذه المنطقة كانوا قد أصبحوا حلفاء المسلمين ولم يعد لقريش فرصة ليقوموا بأي شرّ بل كانوا يرون هذا الطريق الساحلي خطراً على أنفسهم، (لم يكن الخطر من المسلمين فقط بل كانوا يرون أنهم لا يستطيعون إلحاق الضرر بالمسلمين بسبب تحالف المسلمين بمؤلاء القبائل) لذا تركوا هذا الطريق واختاروا الطريق النجدي البالغ إلى العراق. وفي هذا الطريق كانت القبائل الذين كانوا حلفاء قريش وكانوا أعداء أشداء للمسلمين مثل قبائل سليم وغطفان.

فبلغ النبي ﷺ في جمادى الثاني أن قافلة تجارية لقريش تمر بالطريق النجدي، ومن البدهي أنه لو كان مرور قوافل قريش بطريق الساحل يشكل خطراً على المسلمين لكان مرورهم بالطريق النجدي أيضاً خطيراً بل لكان أخطر لأن في هذا الطريق حلفاء قريش الذين كانوا يريدون قتل المسلمين مثل قريش، وكان من الممكن أن يجتمعوا مع قريش ويشنوا هجوماً سريعاً على المدينة بكل سهولة أو يقوموا بنوع من الشر، وكذلك كان ضرورياً لإضعاف قريش وإجبارهم على الصلح أن تُوقف قوافلهم على هذا الطريق أيضاً، لذا بعد وصول هذا الخبر أرسل النبي ﷺ فوراً كتيبة من صحابته بقيادة زيد بن حارثة. كان في هذه القافلة التجارية رؤساء قريش مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية. لقد أدى زيد واجبه بكل استعداد وذكاء، ولحق بأعداء الإسلام هؤلاء في القردة بنجد ففزعت غير قريش من هذا الهجوم المباغت فتركوا أموالهم وهربوا، وعاد زيد وأصحابه إلى المدينة بنجاح مع كثير من الغنائم. كتب بعض المؤرخين أن شخصاً يدعى "فراة" كان دليل غير قريش وكان قد أُسر على أيدي المسلمين وأُطلق سراحه لأنه أسلم. ولكن يتبين من بعض الروايات الأخرى أنه كان جاسوس المشركين ضد المسلمين ولكنه أسلم فيما بعد وهاجر إلى المدينة.

وفي هذه الأيام تم قتل كعب بن أشرف. كان كعب بن الأشرف أحد زعماء المدينة وشارك في عقد الاتفاقية بين أهل المدينة والنبي ﷺ ولكن بعد عقد الاتفاقية سعى لنشر الفتنة فأمر النبي ﷺ أمر بقتله. وتفاصيل هذه الحادثة مسجلة في صحيح البخاري على النحو التالي:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: مَنْ لَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتَلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ: قُلْ. فَأَتَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ كَعْبَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا (يعني رسول الله ﷺ سألنا صدقة وعناه) وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَّ (أي لتملن رسول الله ﷺ فاتركوه) قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعُهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تَسْلِفَنَا وَسَقًا أَوْ وَسَقِينَ. فَقَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ ارْهُونِي، قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهُونِي نِسَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رَهْنٌ بَوْسُقٍ أَوْ وَسَقِينَ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّامَةَ يَعْنِي سِلَاحَ الْحَرْبِ، فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. (إنهما دعواني فأذهب إليهما) قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقَطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ كَعْبٌ: إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةِ بَلِيلٍ لَأَجَابَ. كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَدْ أَخَذَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَ لهما: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكْتُمْ مِنْ رَأْسِهِ فَذُونُكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أَشْمِكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مَتَوْشِحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ

ريح الطيب فقال محمد بن مسلمة: ما رأيت كاليوم ريحا أي أطيب وقال غير عمرو قال عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. فقال أتأذن لي أن أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي قال نعم فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

وجاء في تفصيل جرح كعب بن الأشرف في عمدة القاري، شرح صحيح البخاري ما مفاده: هاجمه محمد بن مسلمة مع أصحابه وقتله. وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس... فاحتملوه ثم أقبلوا سراعا حتى دخلوا المدينة. وأن النبي ﷺ نفل على جرح الحارث بن أوس فلم يؤذه.

وقد ورد ذكر قتل كعب بن الأشرف في سيرة خاتم النبيين أيضا وسأذكره بإيجاز:

الانتصار في غزوة بدر قد أظهر عداوة اليهود القلبية للعيان، وما كان إجلاء بني قينقاع أيضا كافيا لإمالة اليهود الآخرين إلى الإصلاح، بل ظلوا يتمادون في خبثهم وغيث الفتنة. وإن حدث قتل كعب بن الأشرف حلقة من سلسلة هذه الأحداث. كان كعب يهوديا مذهبا ولكنه لم يكن يهودي النسب، بل كان من العرب. كان والده "الأشرف" من بني نبهان وكان ذا نفوذ كبير، وكان قد أنشأ علاقات جيدة مع بني النضير بعد مجيئه إلى المدينة ثم صار حليفا لهم. ثم ازداد نفوذا وأحرز قوة كبيرة إلى درجة أن زوجته أبو رافع بن أبي الحقيق، زعيم قبيلة بني النضير ابنته التي أنجبت كعبا. وحاز كعب مرتبة أعلى من أبيه أيضا حتى حسبه اليهود العرب كلهم زعيما لهم. كان كعب جميل الشكل خطيبا مفوها وشاعرا متمكنا وثرى جدا، فكان يجعل العلماء وغيرهم من قومه يدعون له نتيجة سخائه المالي. أما من الناحية الأخلاقية فكان سيئ الأخلاق جدا. كان محترفا في المكر السيئ وحياسة المكاييد. فما كانت من سيئة إلا وكانت فيه. عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة اشترك كعب في ميثاق الصداقة والأمن والسلام والدفاع المتبادل بين النبي ﷺ واليهود، ولكن كعبا كان يحترق داخليا في نار البغض والعداوة. لقد اشترك في الميثاق ظاهريا ولكن كان يكن في قلبه نفاقا. وبسبب البغض والعداوة في قلبه شرع في معارضة الإسلام والنبي ﷺ بالمكاييد والمؤامرات السرية. فقد جاء أن كعبا كان يتصدق كثيرا كل عام على أحبار اليهود وعلمائهم. وحين جاءه هؤلاء الناس بعد الهجرة طالبين معاشهم السنوي ذكر كعب النبي ﷺ عندهم في معرض الحديث وقال: ما رأيكم فيه بحسب كتبكم الدينية، هل هو صادق أم لا؟ قالوا: يبدو في الظاهر أنه ذلك النبي الذي وعدنا به في التوراة. فبسماع هذا الجواب استشاط كعب -الذي كان يكن البغض والضعينة سلفا- غضبا ولامهم كثيرا ولم يعطهم معاشهم أو الصدقة التي كان يعطيهم إياها من قبل. عندما انقطع معاش العلماء اليهود جاؤوه مرة أخرى بعد فترة من الزمن وقالوا ما مفاده: لقد أخطأنا في فهم علامات ذلك النبي وبعد مزيد من التدبر توصلنا إلى نتيجة أن محمدا ليس ذلك النبي الموعود. وبهذا الجواب تحققت أمنية كعب، وسر كثيرا وتصدق عليهم وبذلك تحققت أمنيتهم أيضا.

إن معارضة كعب للإسلام كانت ناتجة عن خلاف ديني ثم أخذت صورة غير مرضية. ولكن المعارضة الدينية ليست محلاً للاعتراض إلى حد أن يعاقب عليها كعبٌ أو يُعدّ مجرماً بناءً عليها. ولكن الحق أن معارضته قد اتخذت صبغة خطيرة جداً لاحقاً. وبعد معركة بدر بدأ يعيث الفساد ويثير الفتنة التي خلقت للمسلمين ظروفًا خطيرة جداً. لقد ظن كعبٌ في البداية أن الحماس الإيماني لدى المسلمين شيء مؤقت وسيتشتت هؤلاء الناس رويداً رويداً، وسيعودون إلى دين آبائهم. ولكن حاز المسلمون في معركة بدر فتحة لم يكن في الحسبان، وقتل معظم زعماء قريش فبدأ له أن هذا الدين الجديد لا يكاد يهلك بسهولة. فعقد العزم بعد معركة بدر على القضاء على الإسلام وتدميره بكل قوة. وقد بدأ بغضه وحسده للمرة الأولى بمناسبة بدر نفسها حين وصل خبر فتح بدر إلى المدينة وبسماح هذا الخبر قال كعب علناً: يبدو أن هذا الخبر باطل تماماً لأنه لا يمكن أن ينتصر محمد (ﷺ) على جيش كبير كهذا وأن يهلك زعماء مكة الكبار هؤلاء، وإذا كان هذا الخبر صحيحاً فالموت أولى من الحياة. وعندما تبين صدق الخبر واستيقن كعبٌ أن فتح بدر قد أحكم الإسلام إلى حد لم يكن في حسابه فاستشاط غضباً واستعد للرحيل فوراً وانطلق إلى مكة. وأضرم بواسطة لسانه الذرب وأشعاره مرة أخرى ناراً كانت كامنة في قلوب قريش. وخلق في قلوبهم لسفك الدماء عطشاً لا يخمده. وملاً صدورهم بعواطف الانتقام والعداوة. عندما احتدّت عواطفهم كثيراً نتيجة تحريض كعب أخذهم إلى الكعبة المشرفة وجعل ستائرهما في أيديهم وناشدهم ألا يهدأوا ما لم يقضوا على الإسلام ومؤسسه ﷺ قضاءً نهائياً. إن تصرفاته هذه قد أحدثت في مكة جواً بركانياً. ثم توجه كعبٌ إلى قبائل أخرى وذهب إلى كل قوم وحث الناس ضد المسلمين ثم عاد إلى المدينة وشبب بنساء المسلمين (أي ذكر السيدات المسلمات في أشعاره المثيرة بطريقة بذئية جداً) حتى جعل السيدات الطاهرات من أسرة النبي ﷺ عرضة لأشعاره البذيئة وأشاع أشعاره هذه. وفي نهاية المطاف تأمر لقتل النبي ﷺ وأوكل إلى بعض الشباب اليهود مهمة قتله، ولهذا الغرض دعا النبي ﷺ إلى بيته بحجة تقديم الضيافة له، ولكنه ﷺ علم بفضل الله تعالى بالمؤامرة في وقت مناسب ولم تنجح مؤامرة كعب هذه. عندما بلغ الأمر هذا الحد وثبتت جرائم كعب بما فيها نقض العهد والتمرد والتحريض على القتال، وإثارة الفتنة وبذاءة الكلام ومؤامرة القتل، حكم النبي ﷺ -الذي كان زعيماً للحكومة الديمقراطية التي تأسست في المدينة بناءً على الميثاق الذي أبرم بينه وبين أهل المدينة بعد وصوله ﷺ إليها- بأن كعب بن الأشرف يستحق القتل بسبب تصرفاته ومؤامراته، وأمر ﷺ أصحابه بقتله. ولكن لما كانت الأوضاع في المدينة بسبب إثارة كعب الفتنة تهدد بخطر الحرب الأهلية وسفك الدماء إن تمّ قتله بعد الإعلان عنه، وكان النبي ﷺ يريد وقف القتال وسفك الدماء بين الأمم بكل تضحية ممكنة ومشروعة، (أي حتى لا يتقاتل المسلمون واليهود فيما بينهم فيلحقوا ببعضهم بعضاً خسائر في الأرواح)، لذا أوصى النبي ﷺ أن لا يُقتل كعب علناً بل يقتله بعض الناس بكل صمت عندما يجدون فرصة مناسبة لذلك. وكلف بهذه المهمة محمد بن مسلمة الذي كان صحابياً مخلصاً من قبيلة الأوس. وأوصاه بأن ينفذ الخطة باستشارة سعد بن معاذ زعيم قبيلة

الأوس. فقال محمد بن مسلمة ما مفاده: يا رسول الله، لا بد لنا من القول شيئاً إذا أردنا قتله بصمت، أي لا بد من خلق عذر ما لهذا الغرض حتى يخرج كعب من بيته إلى مكان محفوظ لنا حتى نقتله هناك. ونظراً للآثار العظيمة التي قد تنتج عن التخلي عن أسلوب العقاب الصامت في هذه المناسبة، قال ﷺ: "حسناً". فبعد استشارة سعد بن معاذ ذهب محمد بن مسلمة مع أبي نائلة وصحابين أو ثلاثة صحابة آخرين إلى بيت كعب ودعوه إلى خارج داره ثم قالوا له: إن صاحبنا أي محمداً ﷺ قد سألنا صدقة وقد عنانا، فهل بالإمكان أن تمن عينا وتسلفنا. لقد قفز كعب فرحاً لما سمع هذا القول ثم قال: والله ليس ذلك اليوم ببعيد حين ستملونه وتتخلون عنه. فرد عليه محمد بن مسلمة إنا قد اتبعنا محمداً رسول الله ﷺ وننظر إلى أي شيء يصير شأنه، لكن أخبرنا أنت هل تسلفنا أم لا؟ فقال له كعب: نعم بشرط أن ترهنوني شيئاً. فسألوه: أي شيء تريد؟ فقال ذلك الشقي أولاً: أرهنوني نساءكم. ثم قال أرهنوني أبناءكم كما ذكرت ذلك من خلال رواية البخاري آنفاً، وفي النهاية وافق كعب على رهن السلاح، ثم وعده محمد بن مسلمة وأصحابه بأنهم سيأتونه ليلاً وانصرفوا من عنده. ثم حين حلَّ الليل جاؤوا إليه مع السلاح، فنادوه إلى الخارج وتنحَّوا جانباً أثناء الحديث معه ثم أمسكوا به أثناء المشي وقتله الصحابة الذين كانوا مدججين بالسلاح مسبقاً. على أية حال، وقع كعب بعد أن لقي مصرعه مقتولاً، فجاء محمد بن مسلمة وأصحابه من هناك إلى النبي ﷺ وأخبروه بأنهم قتلوه. وحين انتشر خبر قتله صباحاً ذاع الفزع والذعر، وثار اليهود كلُّهم، وجاء وفد منهم إلى النبي ﷺ واشتكوا عنده أن زعيمهم كعب بن الأشرف قد قُتل بهذا الطريق. فسمع النبي ﷺ حديثهم ثم سألهم هل تعرفون ما هي الجرائم التي كان ارتكبتها، ثم ذكَّروهم بتصرفات كعب الشنيعة مثل نقض العهد والتحريض على الحرب، وإثارة الفتن والفواحش، ومؤامرة قتل النبي ﷺ، فصمتوا خوفاً. ثم قال النبي ﷺ لهم، عليكم الآن أن تتعهدوا من جديد أنكم ستعيشون بالسلام والتعاون في المستقبل على الأقل، ولا تنشروا الفتنة والفساد. فكتب بموافقة اليهود ميثاقاً جديداً، حيث تعهد اليهود من جديد أنهم سيعيشون بالسلام والأمن والأمان مع المسلمين وسيجنبون طرق الفتنة والفساد. وسلَّم هذا الميثاق الجديد لسيدنا علي ﷺ.

لم يُذكر في التاريخ مطلقاً أن اليهود بعد ذلك اتهموا المسلمين بقتل كعب بن الأشرف، لأن قلوبهم قد استيقنت بأن كعباً نال ما استحقه من العقاب.

فإن التزام اليهود بالصمت على معاملة كعب وفق القانون أو الطريق المروج آنذاك أنهم قبلوا هذا العقاب والمعاملة.

لقد اعترض بعض المؤرخين لاحقاً بقولهم أن النبي ﷺ أمر بقتل غير شرعي وما حصل لم يكن مشروعاً. فليتضح أن هذا القتل لم يكن غير شرعي، وذلك لأن كعب بن الأشرف كان قد أبرم مع النبي ﷺ عهد السلام رسمياً، وكان قد تعهد أنه سينصر المسلمين ضد أي عدو خارجي وأنه سينشئ علاقات

الصداقة مع المسلمين ناهيك عن عدم القيام بأي عملية ضدهم. وكان قد أقرَّ بمقتضى ذلك العهد أن النبي ﷺ سيكون رئيسا للحكومة الديمقراطية التي أقيمت في المدينة، وأن حكمه سيكون واجب القبول في النزاعات والخصومات.

يقول مرزا بشير أحمد: فالثابت من التاريخ أن اليهود كانوا يتحاكمون إلى النبي ﷺ في القضايا بحسب هذا الميثاق، وكان النبي ﷺ يحكم فيها. فكعب تجاهل كل هذه الأمور والميثاق والعهد مع المسلمين ولم يعمل به. والحق أنه لم يغدر بالمسلمين فحسب بل قد غدر بحاكم الوقت، لأن النبي ﷺ كان رئيس المدينة، وبذر كعب بذور الفتنة والفساد في المدينة، وحاول إشعال نار الحرب في البلد، وأثار قبائل العرب ضد المسلمين لأقصى الحدود، ثم تأمر لقتل النبي ﷺ. وفعل كل ذلك لما كان المسلمون سلفا يعانون المشاكل من الجهات الأربع، وخلق لهم كعب هذه الأوضاع الصعبة. وفي هذه الحال لم تكن جريمة كعب -بل مجموعة جرائمه- أمرا يمكن تجاهله ويُترك دون العقاب، فقد صدر الأمر بعقابه. ومن المعلوم أن مجرمي التمرد ونقض العهد وإثارة الحرب ومؤامرة القتل يعاقبون في العصر المتحضر الراهن أيضا بالقتل نفسه؟ فما مبرر هذا الاعتراض إذاً؟

أما الذي يحدث حاليا بين فلسطين وإسرائيل هو أشد، وليس بمشروع أيضا من عدة نواح. والسؤال الثاني هو حول أسلوب القتل، إذ لماذا قُتل ليلا بصمت؟ فليكن معلوما بهذا الخصوص أنه في العرب لم تكن ثمة حكومة رسمية، وصحيح أنهم كانوا قد عينوا حاكما وكان حكمه نافذا، ولكن في الوقت نفسه كان كل إنسان وكل قبيلة حراً في الحكم في القضايا الشخصية، حيث كانوا يأتون النبي ﷺ للحكم في القضايا المشتركة، أما في الأمور الخاصة بالقبائل فكانوا يحكمون محليا. وفي هذا الوضع لم تكن هناك محكمة تُرفع إليها قضية كعب بن الأشرف ويُستصدر الحكم بقتله. فهل كان يمكن أن تُرفع الشكوى إلى اليهود الذين كان كعب زعيمهم وكانوا قد غدروا بالمسلمين، وكانوا يثيرون الفتن يوميا؟ فكان من المستحيل أن ترفع قضيته إلى اليهود. أما الاستعانة بقبيلتي سليم وغطفان، فكانوا في الشهر الذي قبله قد استعدوا للغارة على المدينة بضع مرات، فكانوا مع اليهود والبديهي أنه لم يكن هناك أمل منهم في الإنصاف.

باختصار ادرسوا أوضاع ذلك العصر ثم تدبروا وقولوا بإنصاف أي طريق كان مفتوحا للمسلمين حين وجدوا شخصا يشكل خطرا عليهم وعلى سلام البلاد سوى أن يقتلوه عند فرصة سانحة لإثارته الفتن وتحريضه على الحرب ومؤامراته لقتل النبي ﷺ؟ وذلك لأن قتل شرير ومفسد أفضل بكثير من أن تبقى حياة كثير من المواطنين في خطر منه ويتلاشى سلام البلاد. فقد قال الله ﷻ أيضا إن الفتنة أكبر من القتل.

باختصار إن النبي ﷺ، بحسب الميثاق الذي أبرم بين اليهود والمسلمين بعد الهجرة، لم يكن مواطنا عاديا، بل كان قد عُين رئيسا للحكومة الديمقراطية التي أقيمت في المدينة. وكان من صلاحياته أن يُصدر الحكم المناسب في جميع النزاعات والأمور السياسية. فإذا كان ﷺ قد حكم نظرا لمصلحة سلام البلد أن كعب بن الأشرف يجب قتله جراء فتنته، فلا يجوز الاعتراض عليه. لذا فهذا الاعتراض لخصوم الإسلام بعد مضي ١٣٠٠ سنة (كما يفعل المستشرقون) سخيف جدا، وذلك لأن اليهود يومذاك لم يعترضوا على قول النبي ﷺ.

في هذه الفترة نفسها كان الزواج الثاني من السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنه. وإن ما نُجده عن زواج السيدة حفصة من النبي ﷺ تفصيله أن زوج حفصة اشترك في غزوة بدر وعند العودة منها مرض فتوفي، وبعد ذلك تزوج النبي ﷺ من حفصة، وورد تفصيله في البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تآيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدرا، توفي بالمدينة. قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر قال سأنظر في أمري فلبثت ليالي فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا فكننت عليه أوجد مني على عثمان (أي تأسفت أكثر على أنه هو الآخر قد رفض) فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه.

قد ورد هذا الحدث في سيرة خاتم النبيين كالتالي: كانت لسيدنا عمر بنت اسمها حفصة، وكانت متزوجة من خنيس بن حذافة الذي كان صحابيا مخلصا وشهد بدرا، وبعد عودته من بدر إلى المدينة مرض مرضا توفي على إثره. وبعد فترة أهم عمر رضي الله عنه تزويج حفصة رضي الله عنها وكانت فوق العشرين عاما تقريبا. فذهب عمر لبساطته الفطرية إلى عثمان بن عفان وقال له لقد أصبحت بنيتي حفصة أرملة، فإذا أردتها فيمكن أن تتزوجها. فلم يستجب له عثمان. ثم ذهب عمر إلى أبي بكر وعرض عليه الزواج من بنته، ولكنه أيضا ظل صامتا ولم يجبه. فحزن عمر ومتضايق جدا، وجاء إلى رسول الله ﷺ حزينا وقص عليه الحكاية كلها. فقال النبي ﷺ لا تقلق، ستجد حفصة بإذن الله تعالى من هو خير من عثمان وأبي بكر، وسيجد عثمان زوجة أفضل من حفصة. قال ذلك لأنه ﷺ كان قد عزم على أن يتزوج من حفصة ويزوج بنته أم كلثوم من عثمان، وكان أبو بكر وعثمان على علم بذلك. ومن أجل ذلك لم يستجيبا لعرض عمر. وبعد فترة زواج النبي ﷺ بنته أم كلثوم من عثمان، وبعد ذلك خطب حفصة من عمر. فما الذي كان عمر يريد أكثر من ذلك؟! فما كان منه إلا أن قبل عرض النبي ﷺ بفرحة عارمة. وتزوج النبي ﷺ حفصة في شعبان في العام الثالث الهجري وهكذا دخلت في حرم النبي ﷺ. وبعد ذلك قال أبو بكر لعمر لعلك واجد علي في قلبك ومتضايق مني، والواقع أني

كنت على علم بإرادة الرسول ﷺ، ولكني لم أكن لأفشي سره ﷺ دون إذنه، ولو لم يكن ﷺ ينوي الزواج من حفصة لتزوجتها بكل سرور.

ومن المصالح الخاصة في زواج الرسول ﷺ من حفصة أنها كانت بنت عمر الذي كان يعدّ أفضل الصحابة جميعا بعد أبي بكر، وكان مقربا لدى الرسول ﷺ، فارتأى الزواج من حفصة توطيدا للأواصر مع عمر وأيضا تلافيا للصدمة التي كانت أصابت عمر وحفصة بموت خنيس بن حذافة المفاجئ. والمصلحة الثانية التي كانت أمام النبي ﷺ هي أنه كلما كثرت زوجاته توسّع نطاق تعليم النساء - اللواتي يشكلن نصف بني البشر ومن بعض النواحي النصف الأحسن لهم- وتبليغ الدعوة فيهن بسهولة أكبر وبشكل مؤثر.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ردف القبول: كان عمر السيدة حفصة عند الزواج من النبي ﷺ واحدا وعشرين سنة. وبعد عائشة لما كانت ابنة أفضل الصحابة، فإن لها مكانة مميزة بين الأزواج المطهرات، وكانت لها علاقة خاصة مع السيدة عائشة أيضا، وباستثناء مشادة كلامية تحدث حتما في مثل هذه العلاقة، كانتا تعيشان بحب متبادل كبير. كانت السيدة حفصة تعرف القراءة والكتابة، فقد ورد في حديث أنها تعلمت من الصحابية الشفاء بنت عبد الله. توفيت السيدة حفصة في عام ٣٩ الهجري عن عمر يناهز ثلاثة وستين عاما.

وفي هذه الفترة كانت ولادة سيدنا الإمام الحسن أيضا، فقد وُلدَ حضرة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب في منتصف رمضان من العام الثالث الهجري.

قالَ البعض إنه وُلد في شعبان العام الثالث الهجري. وقال آخرون: وُلد بعد غزوة أحد بعام، وقال البعض بعدها بعامين. وقال العلامة ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري: إن الرأي الأول هو الأصح والأقوى.

وكان علي ﷺ سماه حربًا، ولكن رسول الله ﷺ غير اسمه إلى الحسن.

وفي اليوم السابع من ولادته عمل النبي ﷺ عقيقته، وأمر بخلق رأسه والتصدق بالفضة زنة شعره. قالت أم الفضل ذات مرة يا رسول الله رأيت في منامي أن في بيتي أو حجرتي عضوا من أعضائك. قال ﷺ: خيرا رأيت، تلد فاطمة غلاما فتكفلينه، فترضعينه مع قثم - أم الفضل هي زوجة العباس ﷺ عم النبي ﷺ، وقثم ابنها- فولد الحسن وأرضعته أم الفضل مع قثم.

قيل مرة للحسن بن علي رضي الله عنهما: ما عقلت عن رسول الله ﷺ؟ قال ذات مرة أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فمي، فأخذها بلعابها من فمي وأعادها إلى تمر الصدقة. فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها فإنها مجرد تمرة؟ فقال ﷺ: "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة" وعن أنس بن مالك ﷺ قال لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبلَ النبي ﷺ وهو يحمل الحسن على رقبته، فقال رجل: نِعَمَ المركبُ ركبْتَ يا غلام. فقال رسول الله ﷺ: «ونعمَ الراكبُ هو». فكان النبي ﷺ يحب حفيده كثيرا. عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَضَعَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ. وفي بعض الروايات أن الإمام الحسن ﷺ توفي نتيجة التسميم.

وقال حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ وهو يتحدث عن ولادة الإمام الحسن ﷺ:

لقد سبق أن ذكرت في أحداث العام الثاني الهجري واقعة زواج علي وفاطمة رضي الله عنهما. وفي شهر رمضان في العام الثالث الهجري، وبعد حوالي عشرة شهور من الزواج، رُزقا ابناً سماه النبي ﷺ الحسن. وهو نفس الحسن الذي اشتهر فيما بين المسلمين بلقب الإمام الحسن عليه الرحمة. كان الحسن يشبه النبي ﷺ كثيرا. وكان النبي ﷺ يحب ابنته فاطمة رضي الله عنها حبا شديدا، كذلك كان يحب أولادها أيضا حبا خاصا، وقال مرارا اللهم إني أحب هؤلاء الأولاد فأحبهم ومحبيهم. وكثيرا حدث أن كان النبي ﷺ يصلي فجعل الحسن يلتصق به وإذا ركع مر بين رجليه. وبعض الأحيان كان بعض الصحابة يمنعه من ذلك، فكان النبي ﷺ يقول لهم: لا تمنعوه. الواقع أن التصاق الحسن بالنبي ﷺ في صلاته كان لا يشتت تركيزه فيها، ولذلك كان لا يمانعه من إبداء حبه الصبياني البريء. وقال النبي ﷺ مرة عن الحسن: إن ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وقد تحققت هذه النبوءة فيما بعد.

لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: أرى أن الحسن ﷺ قد أحسن صنعا إذ اعتزل الخلافة. كانت آلاف الأرواح قد أزهقت سلفا وأريقَت دماؤها فلم يجب إراقة المزيد من الدماء، فأخذ المعاش من معاوية. ولأن فعل سيدنا الحسن -أي معاهدته مع معاوية- يقدر في الشيعة فلا يرضون بالإمام الحسن ﷺ تماما. أما نحن فنمدح كليهما، أي الحسن والحسين أيضا. الحق أن كل شخص يمتلك صفات وكفاءات مختلفة، فأما الإمام الحسن ﷺ فلم يرض بأن تشتد الحرب الأهلية بين المسلمين وتراق الدماء أكثر، فأثر السلام والأمن، وأما الإمام الحسين ﷺ فلم يرض بأن يبايع على يد فاسق وفاجر لأن ذلك يُفسد الدين. فكلاهما كان ذا نية حسنة، وإنما الأعمال بالنيات. هذا فيما يتعلق بهؤلاء الأولاد.

وكما أنني أذكركم بالدعاء لأهل فلسطين منذ عدة خطب، فالיום أيضا أقول لكم بهذا الصدد أن استمروا في الدعاء لهم. لقد بلغ الظلم منتهاه الآن. باسم الحرب ضد حماس يقتلون الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ ومرضى. لقد نبذ هذا العالم المتحضر - كما يزعمون - كل نوع من مبادئ الحرب وضوابط القتال وراء ظهره. ندعو الله تعالى أن يلهم البلاد الإسلامية الصواب. كان حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه قد حذر قبل ٧١ أو ٧٢ عاما وقال لا بد للمسلمين أن يتحدوا. عليهم أن يقرروا ما إذا كانوا يريدون أن يموتوا أشتاتا ويدمروا واحدا تلو الآخر، أم يتحدوا ويعيشوا كحسد واحد. ليتهم يفقهون هذا الأمر الآن

أيضاً ويتحدون. لقد ساءت حالهم لدرجة أن أحداً أخبرني أنه يقال للذهابين للعمرة ألا يتكلموا هنالك عن حرب فلسطين أو عن إسرائيل. هذه تعليمات تقدمها الدولة التي تعطيهم التأشيرات. إذا كان هذا حقاً فهذا منتهى الجبن من قبل دولة إسلامية. لا شك أن على المعتمرين أن يؤدوا حق عبادة العمرة هنالك، ويجب ألا يتحدثوا مثل هذه الأمور خلال هذه العبادة، ولكن لا بد من الدعاء للفلسطينيين المظلومين. وليت هؤلاء الذهابين للعمرة يدعون بهذا الدعاء فيما يدعون به هنالك. إذا كانت بعض الدول الإسلامية ترفع أصواتها في هذه الأيام فهي أصوات ضعيفة جداً. لقد رفع بعض الساسة والدول غير الإسلامية أصواتاً هي أقوى من أصوات الدول الإسلامية. نسأل الله تعالى أن يهب للمسلمين الشجاعة والحكمة.

إن السكرتير العام للأمم المتحدة أيضاً يتكلم جيداً، كما أنه يتكلم في هذه الأيام أفضل من ذي قبل، ولكن يبدو أن لا قيمة ولا أهمية لصوته. ويبدو أنه بعد انتهاء هذه الحرب، أو بعد انتشار هذه الحرب وتحوُّلها إلى حرب عالمية ثم بعد انتهائها فسوف يقضى على الأمم المتحدة أيضاً. نسأل الله تعالى أن يلهم العالم العقل والصواب. يبدو الآن أن العالم يقترب من دماره أكثر فأكثر، والذين سينجون ويعيشون بعد هذا الدمار ندعو الله تعالى أن يهب لهم العقل فيتوجهوا إلى الله وينبئوا إليه. علينا أن ندعو كثيراً بهذا الشأن. رحم الله أهل الدنيا.